٨

فضائل شهر رمضان[١]

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس...

نبشر كل مسلم بحلول ضيفهم المبارك ، وهو شهر رمضان شهر الصبر والغفران ، شهر القرآن ، شهر الخيرات والبركات ومضاعفة الدرجات ،

(١) تخطب في أول جمعة من رمضان.

ونزول الرحمات شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رحمة بعباده وإكرامًا لهم ليغتنموه بطاعته.

فقد كان نبينا ﷺ يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان فيستبشرون ويفرحون به ويستعدون له، فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: « **أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ** » .

فإن من أعظم الحكم من فرضية الصيام لهو تحقيق تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾** ﴾ [البقرة:١٨٣].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى ، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه. فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقربا بذلك إلى الله، راجيا بتركها ثوابه، فهذا من التقوى.

ومنها: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه.

ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي.

ومنها: أن الصائم في الغالب، تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى.

ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى. اهـ

وقبل أن ندخل في فضائل الصيام يجدر بنا أن نذكر نبذة مختصرة عن مراحل

تشريع الصيام في بداية الأمر، فقد كان الصيام المشروع في أول الأمر صيام يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من محرم ثم نسخ بفرضية شهر رمضان، وصار صيام عاشوراء مستحبًا لمن أراد الصوم، وكان صيام رمضان على التخيير، فمن أراد أن يصوم صام، وهو الأفضل، ومن أراد أن يفطر فليطعم عن كل يوم مسكينًا، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:١٨٤] .

ثم نسخت الفدية وبقيت في حق العاجز عن الصيام على قول بعض أهل العلم، أن من عجز عن الصيام لمرض مزمن أو لعجز أو كبرفعليه إطعام مسكين عن كل يوم ، وصار الصيام لازما على كل مسلم قادر بالغ عاقل مقيم لقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة:١٨٥] .

وكان الطعام والشراب والجماع محصورًا في وقت يسير، وهو بين المغرب والعشاءلا غير، بشرط ألا ينام، فمن نام بين مغرب وعشاء فلا يحل له الأكل والشرب إلى غروب شمس اليوم الثاني، وكذلك إذا دخل وقت العشاء فلا يحل الأكل والشرب، فشق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم فأنزل الله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ [البقرة:١٨٧] وأنزل الله: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [البقرة:١٨٧] .

فقد روى البخاري عَنِ الْبَرَاءِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا فَحَضَرَ الإِفْطَارُ فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ ، وَلاَ يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا فَلَمَّا حَضَرَ الإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ لَهَا : أَعِنْدَكِ طَعَامٌ ، قَالَتْ: لاَ وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ ، وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ خَيْبَةً لَكَ فَلَمَّا انْتَصَفَ

النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ فَفَرِحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا وَنَزَلَتْ ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾.

ففرج الله على هذه الأمة ويسر أمرها وجعل هذا الدين في غاية اليسر والسهولة فما علينا إلا الامتثال وأن نقول: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

أيها الأخوة المسلمون:

إن الله فضل هذا الشهر على سائر الشهور، لما ستسمعون من فضائله العظيمة، وخصاله الكريمة، وأكرمنا به ليكوم زادًا لنا إلى الآخرة.

فقد أخرج الإمام البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « **إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ** »، وفي رواية عند البخاري «**إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ** » وفي رواية لمسلم: « **فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ**».

ففي شهر رمضان المبارك تفتح أبواب الجنات وأبواب السماوات وأبواب الرحمات.

وإليكم معنى (فتح الأبواب) في هذه الأحاديث من كلام هل العلم:

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويكون المعنى في فتح أبواب الجنة ما فتح الله على العباد فيه من الأعمال المستوجب بها الجنة من الصلاة والصيام وتلاوة القرآن، وأن الطريق إلى الجنة في رمضان أسهل، والأعمال فيه أرع إلى القبول، وكذلك أبواب النار تغلق بما قطع عنهم من المعاصي، وترك الأعمال المستوجب بها النار، ولقلة ما يؤاخذ الله العباد بأعمالهم السيئة، يستنفذ منها ببركة الشهر

أقوامًا ويهب المسيء للمحسن، ويتجاوز عن السيئات فهذا معنى الغلق، وكذلك قوله: (**وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**) ، يعنى: أن الله يعصم فيه المسلمين أو أكثرهم في الأغلب عن المعاصي والميل إلى وسوسة الشياطين وغرورهم ذكره الداودي والمهلب. اهـ.

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **: هذه ثلاثة أشياء تكون في رمضان:**

الأول: تفتح أبواب الجنة ترغيبا للعاملين بها بكثرة الطاعات من صلاة وصدقة وذكر وقراءة للقرآن وغير ذلك .

والثاني تغلق أبواب النيران وذلك لقلة المعاصي فيه من المؤمنين.

الثالث: وصفدت الشياطين يعني المردة منهم وهم أشد الشياطين عداوة وعدوانا على بني آدم، والتصفيد معناه: الغل، يعني تثقل أيديهم حتى لا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره. اهـ

وقال بعض أهل العلم: تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار لكثرة الثواب والعفو وكثرة الطاعات وقلة المعاصي.

فالذي يعمل المعاصي في هذا الشهر مع ضعف الداعي إليها، فإن هذا يدل على خبث طبعه، وشر نفسه، وخلل في صومه، لأنه لم يراعِ شروط الصوم وآدابه، فهذا من شياطين الإنس، لأن شياطين الجن مقيدة.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إنما تقل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه، وروعيت آدابه. اهـ .

وقال الحليمي: ويحتمل أن الشياطين لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه في غيره لا ستثقالهم بالصيام الذي فيه قمع الشهوات وبقراءة القرآن والذكر. اهـ.

ومن فضائل الصيام أن أجوره مضاعفة لا يعلم كثرتها إلا الله، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخفى مضاعفات أجر الصيام، وبين مقدار أجر سائر الأعمال، وذلك بأن الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فإن أمره إلى الله ومقدار ثوابه في علم الله وهو أكرم الأكرمين.

فقد روى البخاري ومسلم عن هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قُالُ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **قَالَ الله كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**» .

وفي رواية لمسلم: « **كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمائَة ضعْف، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي به، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي للصَّائم فَرْحَتَان: فَرْحَةٌ عِنْدَ فَطْره، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لقَاء رَبِّه وَلَخُلُوفُ فيه أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيح الْمِسْك، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْم أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ** » .

ومعنى قوله تعالى في الحديث القدسي :«**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ**»:

قال المناوي: أي كل عمل له فإن له فيه حظا ودخلا لإطلاع الناس عليه فهو يتعجل به ثوابا منهم (**إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ**) خالص (**لِي**) لا يطلع عليه غيري، أولا يعلم ثوابه المترتب عليه .

أو معناه:أن الأعمال يقتص منها يوم القيامة في المظالم، إلا الصوم فإنه لله ليس لأحد من أصحاب الحقوق أن يأخذ منه شيئًا . اهـ

بمعنى أن المظلوم يأخذ من حسنات الظالم إلا أجرالصيام فإنه لا يستطيع الأخذ منه شيء لفضله.

وقال بعض أهل العلم في معنى: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي**» : أن الله انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، بينما غيرالصيام من

العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس، وذلك بعلمهم أن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإلا فإن جميع الأعمال لله كلها وهو الذي يجزي عليها.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﷺ مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَعْمَالَ قَدْ كَشَفَتْ مَقَادِيرَ ثَوَابِهَا لِلنَّاسِ وَأَنَّهَا تُضَاعَفُ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ إِلَى مَا شَاءَ الله ، إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّ الله يُثِيبُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ تَقْدِيرٍ...، أَيْ يُجَازِي عَلَيْهِ جَزَاءً كَثِيرًا مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ لِمِقْدَارِهِ وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠] . اهـ .

ومن صفات الصائمين الصبروقد سمي رمضان بشهر الصبر.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى الآية :﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠] .

قال وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لا يوزن وزنا وإنما يكال كيلاً. اهـ .

والمراد بالصيام هنا الذي يترتب عليه هذا الفضل العظيم، هو الصيام الذي سلم من الرياء ومن المعاصي قولا وفعلا.

وقد قال بعض أهل العلم: إنه خص بهذا الفضل لأن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره من الأعمال، فإن الصوم سر بين العبد وربه لا يشعر به أحد إلا إذا أخبر به الصائم.

وقال بعضهم: ومما اختص الصيام بهذا المزية لأن العبادات راجعة إلى صرف المال أو استعمال البدن بينما الصوم يتضمن كسر النفس وتعريض البدن للنقصان وفيه الصبر على الجوع والعطش وترك الشهوات.

فيا أيها الصائم حافظ على صومك مما يخدشه وتجنب اللغو والفحش والبذاءة، ولذلك ذكر في الحديث نفسه اجتناب اللغو والرفث بقوله: « **وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ، وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**» .

والرفث هو الكلام الفاحش ويطلق على الجماع وعلى مقدماته، وعلى ذكر النساء، فالصائم يجتنب هذه الأمور.

ومعنى قوله : « **وَلا يَصْخَبْ** » :أي: ولا يجهل، فلا يفعل شيئًا من أفعال الجهل والسفه.

والصخب :هو الخصومة والصياح، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليدفعه بقوله: إني صائم لعله يرتدع وينكف إن كان في قلبه تعظيم للصيام ولشهر رمضان، وإلا دفعه بالأخف فالأخف، ولا يعامله بمثل معاملته، فإن الصائم قد ترك لله ما هو أهم من هذا وهو الطعام و الشراب والشهوة، ولأنه ما حمله على ترك هذه الأشياء إلا الإخلاص لله، وابتغاء وجه الله، وتحمل الجوع والعطش والتعب في جناب الله.

فأما من ترك الطعام والشراب والشهوة لأمر آخرليس لله، فليس له ذلك الفضل المذكور.

وعلى الصائم أن يجتنب الكذب والغيبة والنميمة وقول الزور ونحو ذلك فإنها تخدش الصيام وتنقصه، ولا يترتب على صيامه ثواب. فإذا كان الشرع الحكيم قد حذر من اللغو والرفث، فغيره من باب أولى مما هو أشد منه.

وفي الحديث أن خلوف فم الصائم أي رائحة فمه عند الله أطيب من ريح المسك.

فلا تقل كيف؟ فإن الله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يطيب الله رائحته يوم القيامة.اهـ

وفي الحديث:«للصائم فرحتان، فرحة عند فطره،وفرحة عند لقاء ربه» .

فالفرحة التي عند فطره تشمل الفرحة عند غروب الشمس، يفرح لأن الله قد أكمل له الصيام في ذلك اليوم، وتشمل الفرحة يوم عيد الفطر، فيفرح لأن الله تعالى أكمل له عدة رمضان ، وأعانه على صيامه وقيامه، وهذا ملاحظ عند كل صائم صادق صام إيمانًا واحتسابًا.

أما من لم يصم رمضان أو قصر وفرط فيه فلا تشمله الفرحة في يوم العيد ولا يكون من الفرحين بالعيد، فأيُ فرحة ترجى لهذا الصنف؟.

والفرحة التي عند لقاء ربه، يفرح بها الصائم حينما يلاقي ربه ويقف بين يديه ويتمتع بالنظر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، ويرى تلك الأجور العظيمة المترتبة على توحيده وصيامه وقيامه وتلاوة القرآن وسائر أعمال البر في رمضان وفي غيره، لكن خص الصيام بالذكر لفضله.

ومن فضائل هذا الشهر المبارك: أن فيه ليلةً مباركةً، هي خير ليالي السَنَة، وهي ليلة القدر، والعمل الصالح فيها خير من ألف شهر، بمعنى أنها: خير من بضع وثمانين سَنة.

فقد روى ابن ماجه عَنْ أَنَس بْن مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ**» .

ومن فضائل هذا الشهر أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعتق فيه عبيدا من النار وذلك من اتصف بتلك الصفات التي تقدم ذكر بعضها.وللصائم في كل يوم دعوة مستجابة.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنَّ لِلَّهِ عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وإن لِكُلِّ مسلم في كل يوم وليلة دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ** » .

وفي رواية عند الترمذي: « **وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ** » .

فأكثروا من الدعاء يا أيها الصائمون في هذا الشهر المبارك، فإن دعاء الصائم مستجاب والدعاء عبادة عظيمة، ونفعه عائد على العبد في الدنيا والآخرة، فلا تعجز عن الدعاء، ولا تستهن به، فإن النبي ﷺ يقول كما روى الطبراني عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ فِي الدُّعَاءِ، وَإِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلام** » .

ومن فضائل الصيام ياعباد الله :

أنه وقاية للصائم من المعاصي ومن الشياطين، لأن مسالك الشياطين تضيق عند الصائم، « **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّم** » كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ في الصحيحين عن صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فإذا صام العبد ضيقت مجاري الشيطان . بالإضافة إلى أن الشياطين مصفدة في رمضان.

والصيام وقاية من المعاصي، وذلك لأن الصائم مقبل على طاعة ربه ومعرض عن المعاصي، ولضعف داعي الشهوة عنده، فقد روى ابن ماجه عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **الصِّيَامُ جُنَّةٌ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ** » وأصله في الصحيحين.

وفي رواية عند أحمد: « **الصِّيَامُ جُنَّةٌ وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ** » .

ومعنى جنة :أي وقاية من المعاصي ومن النار ومن الشيطان .

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : الصيام جنة: أي ستر ومانع من الرفث والآثام، ومانع أيضًا من النار ،ومنه المجن وهو الترس ، ومنه الجن لاستتارهم. اهـ .

فالصيام وقاية من كل الشهوات ولهذا حث النبي ﷺ الشباب الذين لا قدرة لهم على الزواج بالتحصن بالصيام.

فقد روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **يا معشر الشباب مَن اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**» .

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى (وِجَاء) : أي مانع من الشهوات.

نسأل الله الإخلاص في القول والعمل ، وأن يتقبل منا ، إنه هو السميع العليم.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإن من أعظم فضائل شهر رمضان أنه يكفر الذنوب بإذن الله لمن صامه إيمانًا واحتسابًا وابتعد عن كبائر الذنوب.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» .

ومعنى: « إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا » : قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أي الاعتقاد بحق فرضية صومه « وَاحْتِسَابًا » : طلب الثواب من الله تعالى. اهـ.

وقال الخطابي: « إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا » : أي إخلاصا بنية وعزيمة وطلبا للثواب وأن يصومه طيبة به نفسه غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه وإنما يغتنم ذلك لعظم الثواب. اهـ.

وقوله: « غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »: تغفر صغائر الذنوب وأما الكبائر فلا بد لها من توبة.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الصغائر لا تغفر إن وجدت معها كبائر، فيجب الحذر من الكبائرحتى لا تكون حائلا بين العبد وبين مغفرة ذنوبه، واستدلوا بما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ: « **الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**» .

وقال بعض أهل العلم: تكفر الصغائر دون الكبائر وفضل الله واسع.

قال النووي : مَعْنَاهُ أَنَّ الذُّنُوب كُلّهَا تُغْفَر إِلَّا الْكَبَائِر فَإِنَّهَا لَا تُغْفَر وَلَيْسَ الْمُرَاد أَنَّ الذُّنُوب تُغْفَر مَا لَمْ تَكُنْ كَبِيرَة ، فَإِنْ كَانَ لَا يُغْفَر شَيْء مِنْ الصَّغَائِر ، فَإِنَّ هَذَا وَإِنْ كَانَ مُحْتَمَلًا فَسِيَاق الْأَحَادِيث يَأْبَاهُ .

قَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَذَا الْمَذْكُور فِي الْحَدِيث مِنْ غُفْرَان الذُّنُوب مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَة هُوَ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة ، وَأَنَّ الْكَبَائِر إِنَّمَا تُكَفِّرهَا التَّوْبَة أَوْ رَحْمَة اللَّه تَعَالَى وَفَضْله . وَاَللَّه أَعْلَم اهـ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :..فإن لم يكن له صغائر كتب له حسنات ورفع له درجات. اهـ

وذكر ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الصوم يكفر الذنوب وزيادة ثواب على الكفارة.

والمراد بالصوم الذي يكفرالذنوب هو لمن صامه إيمانًا واحتسابًا و كان خالصًا سالما من الشوائب والمخدشات.

فاغتموا هذا الشهر ياعباد الله ، فهو فرصة السَنَة، فإذا لم يغفر للعبد في هذا الشهر المبارك فقد خسر خسارة عظيمة، فيا باغي الخير أقبل فهذا موسم الخيرات، ويا باغي الشر أقصر فسيندم المفرطون وسيغبن المقصرون على تلك الدرجات التي يفوز بها الصائمون.

فقد روى ابن حبان عن مالك بن الحويرث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : « صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا رَقِيَ عَتَبَةً، قَالَ: (آمِينَ) ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةً أُخْرَى، فَقَالَ: (آمِينَ) ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةً ثَالِثَةً، فَقَالَ: (آمِينَ) ثُمَّ، قَالَ: (أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَقَالَ: وَمَنْ

ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ) » .

ومن فضائل الصيام: أن في الجنة بابا يقال له باب الريان، لا يدخل منه إلا الصائمون، والريان: مشتق من الري، وهو ضد الضمأ وجعله الله إكرامًا للصائمين لأنهم أضمأوا نهارهم في رمضان ، ولأن الإنسان قد يستطيع أن يصبر على الجوع ولا يستطيع أن يصبر على العطش ، فخص لهذه المزية والله أعلم.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ» .

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وهو باب يسقى منه الصائم شرَابًا طهورًا قبل وصوله إلى وسط الجنة ليذهب عطشه، وفيه مزيد مناسبة وكمال علاقة بالصوم، واكتفى بالري عن الشبع لدلالته عليه، أو لأنه أشق على الصائم من الجوع، وقوله: (يَدْخُلُ مِنْهُ)أي: إلى الجنة، وقوله:(الصَّائِمُونَ): يعني الذين يكثرون الصوم. اهـ

ومن فضائل الصيام: أنه وقاية لصاحبه من النار، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ الله، بَعَّدَ الله وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**» .

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه الصيام الذي يكون في أرض الجهاد.

وذهب الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره ، إلى أنه يشمل ذلك ويشمل كل صيام في طاعة الله ، أخلص فيه صاحبه لله وابتغى به وجه الله.

ومن فضائل الصيام ياعباد الله: أن من مات صائمًا دخل الجنة لأنه مات على طاعة، و من علامات حسن الخاتمة أن يموت المسلم صائمًا .

فقد روى الأمام أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى صَدْرِي فَقَالَ: « **مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ** » .

اللهم اختم لنا بالحسنى، وبعمل صالح يرضيك عنا، اللهم إنا نسألك الجنة، ونعوذ بك من النار، اللهم أعنا على صيام رمضان وقيامه ، وتلاوة القرآن فيه، واجعلنا ممن يصومه إيمانًا واحتسابًا، واجعلنا ممن غفر ذنبه ، وعتقت رقبته برحمتك يا أرحم الراحمين.